تحرير عمل عثمان – رضي الله عنه – في جمع القرآن

دكتورة/ عبير بنت عبدالله عبد الرحمن النعيم
أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية – كلية التربية
جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ،،، أما بعد:

فقد حظي القرآن الكريم من المسلمين على مر العصور بعناية كبيـرة؛ تحقيقًـا لقولـه سبحانه وتعالى:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}[الحجر:٩]وظهر ذلك ابتداءً مـن حرصه– صلى الله عليه وسلم– على حفظ القرآن حيث كان يعجل بحفظه وقت نزولـه عليه، مصداقًا لقوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه ﴿١٧﴾فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴿١٨﴾ثُـمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴿١٩﴾}[القيامة:١٧–١٩] وكان الصحابة– رضي الله عنهم– يحفظـون القـرآن بسماعه منه مباشرةً.

وكان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم– يعرض القرآن على جبريل– عليـه السلام–كلَ سنةٍ مرةً؛ ليتأكد حفظه، وليعلم ما طرأ عليه من مواضع النسخ منـه. ولمـا اقترب زمنُ وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم–،عارضه جبريلُ –عليه السلام–بـالقرآن مرتين، وذلك في رمضان من السنة التي تُوُفّي فيها –صلى الله عليه وسلم–.

ولم يُجمع القرآنُ على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– في مصحف واحـد لعدم وجود داعٍ إلى ذلك، لكن بعد انتقال النبي –صلى الله عليه وسـلم–إلـى الرفيـق الأعلى وانقضاء زمن نزول الوحي، جدت في الدولة الإسلامية حوادث دفعت بالخليفـة الأول أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–إلى أن يُقدِم على هذا العمل،وكان تاريخ هـذا الجمع في السنة الثانية عشرة من الهجرة وفق منهجٍ دقيقٍ من التحري والتثبت العلمـي، فحصل إجماعُ الأمة على قبوله.

وفي زمن عثمان بن عفان –رضي الله عنه– وقعت أحداثٌ أدّت إلى التفكيـر في جمع القرآن مرةً ثانيةً .

ولقد زخرت كتب علوم القرآن بالحديث عن جمع عثمان –رضي الله عنه– ومنهجه في الجمع،وتعددت واختلفت فيه أقوالهم، وعن الفرق بين عمل أبي بكر الصديق وعمل عثمان –رضي الله عنهما–في الجمع، ولعل هذه الورقة البحثية تكشف حقيقة عمل عثمان –رضي الله عنه– في جمع القرآن فكانت بعنوان:

(تحرير عمل عثمان –رضي الله عنه–في جمع القرآن).

مشكلة البحث :

تضاربت أقوال العلماء –رحمهم الله تعالى–من المتقدمين والمتأخرين في حقيقة عمل عثمان –رضي الله عنه– في جمع القرآن الكريم،بين قائل بأن عثمان– رضي الله عنه– جمع القرآن على حرف واحد، حيث اقتصر على حرف واحد، وهو حرف قريش، وألغى بقية الأحرف، وقائل بأنه نسخ المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق–رضي الله عنه–كما هو، ووزعه على الأمصار، وأحسب أن هذا البحث يكشف حقيقة صنيع عثمان –رضي الله عنه– في جمع القرآن .

أهداف البحث :

١– دراسة الروايات الواردة في جمع عثمان –رضي الله عنه– دراسة تحليلية.

٢– بيان منهج عثمان –رضي الله عنه– في جمع القرآن الكريم .

٣– عرض أقوال العلماء من المتقدمين والمعاصرين في جمع عثمان –رضي الله عنه– .

٤– بيان حقيقة عمل عثمان –رضي الله عنه– في جمع القرآن الكريم .

أسئلة البحث :

١– ما الآثار الواردة في جمع عثمان –رضي الله عنه– وما مدلولها؟.

٢– ما منهج عثمان –رضي الله عنه– في جمع القرآن الكريم ؟

٣– ما أقوال العلماء في جمع عثمان –رضي الله عنه– ؟

٤– ما حقيقة عمل عثمان –رضي الله عنه– فيجمع القرآن الكريم؟

الدراسات السابقة :

من المعلوم أن أكثر كتب علوم القرآن –إن لم يكن كلها– تحدثت عن جمع القرآن الكريم، وعن جمع عثمان–رضي الله عنه–، ولكن الأقوال تكاثرت واختلفت

حول حقيقة عمل عثمان –رضي الله عنه- في جمع القرآن، ولم يظهر لي من خلال البحث والتحري من أفرد حقيقة عمل عثمان –رضي الله عنه- في الجمع بعنايةٍ وتحريٍ سوى كتاب المنهج العلمي في جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان –رضي الله عنه-، للدكتور أحمد عدنان الزعبي، بحث علمي منشور محكم في مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، والفكرة التي يدور حولها البحث أن جمع القرآن وتدوينه في عهد عثمان –رضي الله عنه- لم يكن بطريقةٍ مرتجلةٍ، بل قام على منهجيةٍ علميةٍ .

منهج البحث :

سأتَبع المنهج الاستقرائي الاستنباطي .

خطة البحث :

المبحث الأول : جمع القرآن الكريم في عهد عثمان –رضي الله عنه-.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الروايات الواردة في جمع عثمان –رضي الله عنه- .

المطلب الثاني : الأسباب الدافعة إلى جمع القرآن الكريم في عهد عثمان –رضي الله عنه-.

المبحث الثاني : تحرير عمل عثمان –رضي الله عنه- في الجمع .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :أقوال العلماء من المتقدمين والمعاصرين في جمع عثمان –رضي الله عنه-.

المطلب الثاني : منهج عثمان –رضي الله عنه- في الجمع .

المطلب الثالث : تحرير القول في جمع عثمان–رضي الله عنه- للقرآن .

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : جمع القرآن الكريم في عهد عثمان –رضي الله عنه– :

يطلق جمع القرآن الكريم ويراد منه:تارةً حفظه واستظهاره في الصدور، ويطلق تارةً أخرى ويراد منه: كتابته كله حروفًا وكلماتٍ وآياتٍ وسورًا، فذاك جمعٌ في الصحائف والسطور، وهذا جمعٌ في القلوب والصدور .

ثم إن جمعه بمعنى كتابته حدث في الصدر الأول ثلاث مرات:

الأولى :في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–،والمراد به كتابته وتدوينه .

والثانية:في خلافة أبي بكر–رضي الله عنه–، والمراد به جمعه في مصحف واحد .

والثالثة: في عهد عثمان –رضي الله عنه– حيث نسخ في مصاحف متعددة، وأرسلت إلى الآفاق–وهذا ما نحن بصدد البحث عنه– .

المطلب الأول : الرواية الواردة في جمع عثمان –رضي الله عنه– .

لما آلت الخلافة لعثمان بن عفان –رضي الله عنه– بعد موت الخليفة الراشد عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–،اتسعت الفتوحات الإسلامية وانتشر الصحابة في البلاد المفتوحة يعلمون الناس القرآن كلٌ بقراءاته. ولقد لاحظ الصحابي حذيفة بن اليمان–رضي الله عنه– اختلاف المسلمين في القراءة، وبعض هذا الاختلاف مشوبٌ باللحن، فأخبر الخليفة بذلك، فأمر عثمان –رضي الله عنه–بجمع المصحف وأرسل إلى حفصة بنت عمر –رضي الله عنهما–بأن تسمح له باستخدام المصحف الذي بحوزتها ليجمع القرآن منه، وأمر عثمان بنسخ عدة من المصاحف لتوحيد القراءة ثم أمر بتوزيعها على بلاد المسلمين، كما أمر بإحراق ما يخالف هذا المصحف.

وإليك الرواية الواردة في ذلك :

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أَنَسَ بْنَ مَالِك، أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ، فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ، مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ، اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ؛ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِت، وعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وعَبْدَ الرَّحمن بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ :

إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وزَيْد بْنُ ثَابِت فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْش، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِف، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ، أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ.([1])

وقد نقلت كتب أهل السنة تأييد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– لما فعله عثمان من جمع المسلمين على قراءة واحدة، حيث أخرج ابن أبي داود في كتابه المصاحف عن سويد بن غفلة قال: قال عليّ –رضي الله عنه–: (لا تقولوا في عثمان إلاّ خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلاّ عن ملأ منّا جميعًا؛ قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أنّ بعضهم يقول: إنّ قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً. قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يُجْمَع الناس على مصحفٍ واحدٍ، فلا تكون فرقة، ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت).([2])

وروى أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف من حديث محمد بن سيرين، عن كثير بن مفلح: (لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الرِّبعة([3]) التي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عثمان يتعهدهم فكانوا إذا تداءوا في شيءٍ أخروه، قال محمد: قلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟، قال: لا، قال محمد: فظننت ظنًا؛إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الأخيرة، فيكتبونها على قوله). ([4])

والذي يظهر من نص الروايات التالي :

أن عمل عثمان –رضي الله عنه– كان نسخًا لمصحف أبي بكر –رضي الله عنه– حيث طلب من حفصة أن ترسل إليه الصحف، ثم طلب من الصحابة وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦، ص٢٢٦، والترمذي في سننه،ج ٥،ص١٣٦، والنسائي في الكبرى،ج٥،ص٦ .

[2]) أخرجه ابن أبي داود السجستاني/ كتاب المصاحف، ص٦٧. و صححه الحافظ ابن حجر .

[3]) الربعة : هي الكتب المجتمعة وكانت عند حفصة –رضي الله عنها– . قاله الحافظ ابن كثير .

[4]) أخرجه ابن أبي داود السجستاني/ كتاب المصاحف، ج١، ص١٠٤ .

أن ينسخوا الصحف في المصاحف، ونصه : فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ.

أنه لم يرد في هذه الرواية طلب عثمان –رضي الله عنه–من الصحابة الكتَاب الاقتصار على حرف واحد وإغفال الأحرف الأخرى .

قول عثمان –رضي الله عنه– للصحابة: (ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فيه فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم)، وفي رواية:(إذا اختلفتم)،فإن التعبير لا يدل على الاقتصار على حرف واحد، وإنما المقصود بالاختلاف اختلاف الرسم والكتابة،وبالفعل لم يرد عن الصحابة–رضوان الله عليهم–اختلاف إلا في كلمة التابوت، حيث اختلف الصحابةُ في كلمة (التابوت)، هل هي بالتاء؟ أو بالهاء؟ كما قال الزهري: (واختلفوا يومئذٍ في (التابوت) و(التابوه)، فقال النفر القرشيون: (التابوت)، وقال زيدٌ: (التابوه)، فرُفِع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه (التابوت)؛ فإنه بلسان قريشٍ.([1])

قال الشيخ نور الدين عتر في كتابه علوم القرآن حول اختيار حرف قريش:(وقول عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ..)وهذا لا يدل على إبطال بقية الأحرف السبعة، لما هو معلوم من قواعد رسم الصحف أنه غير مشكول ولا منقوط، وأنه لم تثبت فيه ألفات المد حسب قواعد في رسم الألف وعدمها، فمثلًا:(مالك) تكتب (ملك) و(الكتاب) تكتب (الكتب).([2])

قوله : (وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ، أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ).

يبين أن ما فعله عثمان–رضي الله عنه– هو اعتماد النسخة الأصلية بنسخها وتوزيعها على الأمصار، وقوله : (أمر بما سواه أن يحرق ما سوى هذه النسخ)، وذلك أنها كتابات فردية من الصحابة وقد تشتمل على المنسوخ، لاسيما وأكثرهم لم يشهد العرضة الأخيرة.([3])

---

[1]) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف،باب جمع عثمان–رضي الله عنه – القرآن في المصاحف (ص ٢٦)،وانظر: فتح الباري (٦٣٥/٨).

[2]) علوم القرآن / نور الدين عتر ، ج١، ص١٧٤ .

[3]) انظر: المصاحف/ ابن أبي داود، ص ٨٨ .

وعليه فإن نسخة المصحف التي يقرؤها المسلمون من أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان –رضي الله عنه– إلى يومنا هذا، هي النسخة التي بحوزة حفصة، وقد أجمع الصحابة عليها، ولذلك وافقوا عثمان على حرق ما سواها، حتى قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: (لو لم يصنعه هو لصنعته).

مما يؤكد هذا القول أن عثمان –رضي الله عنه–لم يحرق المصحف الذي كان بحوزة حفصة –رضي الله عنها–، ولو كان قد اصطلح على الاقتصار على حرف قريش ما كان ليدع نسخة حفصة ،وقد يقول قائلٌ : أنه لم يحرقها؛ لأنه كان قد وعدها بأن يردها إليها فنقول:ما كان عثمان لينحاز لرغبة حفصة أمام قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

ومع ذلك فقد أحرقها مروان بعد وفاتها، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (ولهذا استدرك مروان الأمر بعدها، وأعدمها أيضًا خشية أن يقع لأحد منهم توهم أن فيها ما يخالف المصحف الذي استقر عليه الأمر).([1])

مما يقوي هذا القول قوله تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}[الحجر:٩]فقد تولى الله حفظ كتابه وهيأ له الأسباب وكان جبريل –عليه السلام– يعارض الرسول –صلى الله عليه وسلم– مرةً كلَ عامٍ وعارضه في السنة التي توفي فيها رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–مرتين، فما كان لعثمان–رضي الله عنه– أن ينقض أو يلغي شيئًا مما ثبت في العرضة الأخيرة.

المطلب الثاني: الأسباب الدافعة إلى جمع القرآن الكريم في عهد عثمان –رضي الله عنه–:

لقد كان المقصود من جمع القرآن الكريم زمن عثمان –رضي الله عنه– قطع دابر الفتنة التي طرأت على المسلمين من الاختلاف في كتاب الله .

حيث أتاحت حركة الفتوح أن يلتقي المسلمون من التابعين تلامذة الصحابة –رضي الله عنهم– وكانوا من قبائل شتى وفيهم العربي وغير العربي، وكانوا يتدارسون القرآن، وكان كلُ واحدٍ منهم يقرأ القرآنَ على نحو ما تعلمه من الصحابي، فتراجعوا في بعض وجوه القراءات، وادّعى بعضهم أن قراءته أصح من قراءة غيره.

([1]) فتح الباري شرح صحيح البخاري / ابن حجر، ج ٩، ص٢١ .

حيث جاءت خلافة عثمان–رضي الله عنه–وقد اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب الفاتحون بالأمم التي لا تعرف العربية، وخيف أن تذوب خصائص العروبة من العرب من جراء هذا الفتح والاختلاف، بل خيف على القرآن نفسه أن يختلف المسلمون فيه، إن لم يجتمعوا على مصحف إمام؛ فتكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

وكانت مظاهر تلك الحالة أشد وضوحًا في خلافة عثمان بن عفان–رضي الله عنه–، وتنقل الروايات صورًا متعددة لذلك الاختلاف في القراءة.([1])

وتكاثرت أخبار ذلك الاختلاف، ووصل إلى مسامع الخليفة في المدينة، ومعه كبار الصحابة، مما جعلهم يفكرون في الوسائل التي يمكن أن تحافظ على النص القرآني، وتمنع وقوع الاختلاف فيه.

وكانت كتابة القرآن في الأمصار تعتمد على قراءات الصحابة الذين نزلوا فيها، فكان أهل الكوفة يكتبون مصاحفهم على قراءة عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، وكان أهل دمشق قد كتبوا مصحفهم على قراءة أبي الدرداء –رضي الله عنه–، وهكذا في بقية الأمصار، وكانت تلك المصاحف تعكس الاختلاف الذي ظهر في القراءة، وكانت تعتمد على الجهد الفردي في الغالب، ولم يتوافر لشيء منها ما كان قد توافر للصحف التي جمع فيها زيد بن ثابت –رضي الله عنه– القرآن في خلافة أبي بكر الصديق– رضي الله عنه–.([2])

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أَنَسَ بْنَ مَالِك، أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ، فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ، مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ، اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ؛ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى

---

[1]) انظر: جامع البيان/ الطبري ١/ ٢٧، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ، ص ١٢ – ١٤.

[2]) انظر :كتاب المصاحف / ابن أبي داود، ص ١٣٧.

حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ، أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ.([1])

ولذلك سعى عثمان –رضي الله عنه– على جمع الناس على مصحف واحد، ويدل على ذلك أنه أرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردّها إليك؛ وإنما فعل ذلك عثمان؛ لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة –رضي الله عنه– وذلك أنهم اجتمعوا في غزوة أرمينية فقرأت كل طائفة بما روي لها، فاختلفوا وتنازعوا وأظهر بعضهم إكفار بعض والبراءة منه وتلاعنوا، فأشفق حذيفة مما رأى منهم، فلما قدم حذيفة المدينة، دخل إلى عثمان قبل أن يدخل إلى بيته، فقال: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك، قال: في ماذا؟ قال: في كتاب الله، إني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناسًا من العراق والشام والحجاز فوصف له ما تقدم، وقال: إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى.([2])

فلم يكن قصد عثمان جمع ما ليس مجموعًا، فقد كان القرآن زمن الصديق قد جُمِع، وإنما قصَدَ نسخَ ما كان مجموعًا منه زمن الصديق في مصاحف يقتدي بِها المسلمون.

قال القاضي الباقلاني: (لم يقصد عثمانُ قَصْدَ أبي بكرٍ في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعَهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم–،وإلغاء ما ليس كذلك، وأخْذَهُم بِمصحفٍ لا تقديمَ فيه ولا تأخيرَ، ولا تأويل أُثبِت مع تنزيلٍ، ولا منسوخ تلاوته كُتِبَ مع مُثْبَت رسمه ومفروضٍ قراءتُه وحفظُه؛ خشية وقوع الفساد والشبهة على من يأتي بعد).([3])

فأراد عثمان –رضي الله عنه– أن ينسخ من الصحف التي جمعها أبو بكر مصحفًا مجمعًا عليه يكون إمامًا للناس في تلاوة القرآن.

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ، ج٦، ص٢٢٦، والترمذي في سننه،ج ٥،ص١٣٦ ، والنسائي في الكبرى،ج٥ ،ص٦ .

[2]) تفسير القرطبي ، ج١، ص٥١ .

[3]) الانتصار / الباقلاني، ج١، ص٢٦٥.

قال ابن حزم: (خشي عثمان –رضي الله عنه– أن يأتي فاسقٌ يسعى في كيد الدين، أو أن يهِمَ واهمٌ من أهل الخير، فيبدِّل شيئًا من المصحف، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجمعًا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفًا، لكي إن وهم واهمٌ، أو بدَّل مبدِّل رُجِع إلى المصحف المجمع عليه، فانكشف الحق، وبطل الكيد والوهم).([1])

وقال النووي: (خاف عثمان وقوع الاختلاف المؤدي إلى ترك شيء من القرآن، أو الزيادة فيه، فنسخ من ذلك المجموع الذي عند حفصة، الذي أجمعت الصحابة عليه مصاحفَ، وبعث بِها إلى البلدان، وأمر بإتلاف ما خالفها، وكان فعله هذا باتفاق منه ومن علي بن أبي طالب، وسائر الصحابة –رضوان الله عليهم–، وغيرهم).([2])

إذا يتبين لنا مما سبق أن سبب جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه– يمكن إرجاعه إلى ما يلي :

١– رفع الاختلاف والتنازع في القرآن الكريم، وقطع المراء فيه، وذلك باعتماد النسخة التي كانت عند أبي بكر –رضي الله عنه– .

٢– حماية النص القرآني من أي إضافةٍ، أو نقصٍ نتيجة وجود عددٍ من المصاحف بأيدي الصحابة حيث اشتملت على ما ليس بقرآن كالشروح والتفاسير ولذلك لما حرقت كان ذلك تعميم لما نسخ من المصاحف .

هذا هو الباعث على جمع عثمان للمصاحف في مصحفٍ واحدٍ .

---

[1]) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ، ج٢، ص ٢١٢–٢١٣ .

[2]) التبيان في آداب حملة القرآن / النووي، ص ٩٦ .

المبحث الثاني : تحرير عمل عثمان –رضي الله عنه- في الجمع .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:أقوال العلماء من المتقدمين والمتأخرين في جمع عثمان –رضي الله عنه-:

اختلف العلماء –رحمهم الله تعالى- حول عمل عثمان –رضي الله عنه-في جمع المصاحف على قولين:

القول الأول:أن عثمان –رضي الله عنه- جمع المسلمين على مصحف واحد وحرف واحد وهو حرف قريش دون ما عداه من الأحرف السبعة الأخرى، وذهب إلى هذا القول عدد من العلماء المتقدمين والمتأخرين منهم : الحارث المحاسبي([1])،والطبري([2])، والطحاوي([3])، والباقلاني([4])، ومكي بن أبي طالب([5])، وابن عبد البر([6])، والحموي؛ وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وهو المعتمد)([7])، والسيوطي([8])، والشيخ مناع القطان([9]).

حجتهم :

أن اختيار الصحابة لحرف واحد من الأحرف السبعة ليس فيه محذور، ولا يترتب عليه ما يخل بحفظ القرآن الكريم؛ لأن القراءة بأي حرف من الأحرف السبعة جائز، وكلُ حرفٍ من هذه الأحرف كافٍ شافٍ كما جاء ذلك في الأحاديث، والقارئ مخيرٌ بالقراءة بأيِ حرفٍ منها، فمن قرأ بحرفٍ واحدٍ من الأحرف السبعة فقد أدى ما عليه ولم يقع في محذورٍ، وقد كان سبب اقتصارهم على حرفٍ واحدٍ من هذه الأحرف

---

[1]) الإتقان في علوم القرآن /السيوطي،ج١،ص٢١١.(وقفت على قول المحاسبي في الإتقان ولم أجده في فهم القرآن).

[2]) تفسير الطبري، ج١، ص٦٤ .

[3]) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري / عبد الله الغنيمان، ج٢، ص٦٢١ .

[4]) الانتصار للقرآن / الباقلاني،ج١/٥٧ .

[5]) الإبانة عن معاني القراءات / مكي بن أبي طالب ، ص١٣٤ .

[6]) علوم القرآن / ابن عبد البر، ج١، ص٢٢٣.

[7]) انظر: فتح الباري / ابن حجر، ج ٩، ص ١٣.

[8]) الإتقان / السيوطي، ج١، ص٦٠ .

[9]) مباحث في علوم القرآن / مناع القطان، ص١٣١ .

السبعة هو خوفُ الوقوع في المراء في القرآن الذي هو كفر، وخوفُ الاختلاف والتنازع كما هو واضح من حديث أنس في قصة حذيفة مع عثمان – رضي الله عنهم أجمعين–، وسأذكر طرفًا من أقوالهم :

قال الحارث المحاسبي : (المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجهٍ واحدٍ، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أُنزل بها القرآن).([1])

وقال الباقلاني : (ثم نذكر جمع عثمان –رضي الله عنه– الناس على مصحفٍ واحدٍ، وحرف زيد بن ثابت، ونبين أنه لم يقصد في ذلك قصد أبى بكر في جمع القرآن في صحيفةٍ واحدةٍ على ترتيب ما أوحي به، إذ كان ذلك أمرًا قد استقر وفرغ منه قبل أيامه ونبين صواب عثمان –رضي الله عنه– في جمع الناس على حرف، وحظره ومنعه لما عداه من القراءات، وأن الواجب على كافة الناس اتباعه، وحرام عليهم بعد قراءة القرآن بالأحرف والقراءات التي حظرها عثمان ومنع منها، وأن له أخذ المصاحف المخالفة لمصحفه، ومطالبة الناس بها، ومنعهم من نشرها والنظر فيها).([2])

وقال أبو جعفر الطحاوي : (كانت هذه السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها؛ لأنهم كانوا أميين، لا يكتبون إلا القليل منهم، فكان يشق على كل ذي لغةٍ منهم أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقةٍ عظيمةٍ، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقًا، فكانوا كذلك، حتى كَثُر من يكتبُ منهم، وحتى عادت لغاتهم إلى لسان رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقرؤوا بذلك على تحفظ ألفاظه، ولم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها، وبان بما ذكرنا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص، لضرورة دعت إلى ذلك، ثم

---

[1]) الإتقان في علوم القرآن /السيوطي،ج١،ص٢١١.(وقفت على قول المحاسبي في الإتقان ولم أجده في فهم القرآن).

[2]) الانتصار للقرآن / الباقلاني، ج١/٥٧ .

ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن إلى حرف واحد).([1])

قال ابن عبد البر–رحمه الله –:(وإذا أبيح لنا قراءته على كل ما أنزل فجائز الاختيار فيما أنزل عندي –والله أعلم–).([2])

وقال الشيخ مناع القطان: (وجمع عثمان للقرآن كان نسخاً له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد، وحرف واحد يقرءون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى).([3])

القول الثاني:

أن عمل عثمان –رضي الله عنه– في المصاحف هو جمع الصحابة على القراءات الثابتة عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– بنسخ ما تم جمعه في عهد أبي بكر –رضي الله عنه– ثم توزيعه على الأمصار.

وذهب إلى هذا القول:ابن أبي داود في المصاحف، وأبو شامة المقدسي([4])، والزركشي([5])، والبقاعي([6])، والزرقاني([7])، ونور الدين عتر([8])، ومساعد الطيار([9]).

حجتهم:

بنوا قولهم هذا على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقلَ شيءٍ من الحروف السبعة التي نزل القرآن عليها، ولا يجوز أن ينهى الصحابة –بعد جمعهم للقرآن في مصحف عثمان – عن القراءة ببعض الأحرف السبعة، ولا أن يجمعوا على ترك شيء من القرآن.

---

[1]) صحيح البخاري، شرح كتاب التوحيد، ج٣، ص٤٣ .

[2]) علوم القرآن / ابن عبد البر، ج١، ص٢٢٣ .

[3]) مباحث في علوم القرآن / مناع القطان، ص١٣٣.

[4]) المرشد الوجيز / أبو شامة ، ج١، ص٧٥.

[5]) البرهان في علوم القرآن / الزركشي، ج١، ص٢٣٩.

[6]) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور ، ج١، ص١، ص٤٣٧.

[7]) مناهل العرفان / الزرقاني، ج١، ص١٧٩.

[8]) علوم القرآن / نور الدين عتر، ج١، ص ١٧٢.

[9]) انظر: المحرر في علوم القرآن، ص١٦٣.

روى أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف من حديث محمد بن سيرين عن كثير بن مفلح: (لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار فيهم: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الرِّبعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه، قال محمد قلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟، قال: لا، قال محمد: فظننت ظنًا؛إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الأخيرة، فيكتبونها على قوله).([1])

القول الراجح:

والذي تميل النفس إليه –والله أعلم– هو القول الثاني وهو أنَّ عمل عثمان –رضي الله عنه–كان نسخًا لما جاء في الصحف المحفوظة عند أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها وعن أبيها الفاروق–، والتي هي بمثابة الوثيقة الرسمية للدولة .

ويدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس –رضي الله عنه– : (فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أرسلي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ).

أي: الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ماعداه.

كما أنه بعد النظر في الروايات والتمعن فيها لم يظهر لي ما يدل على أن عثمان –رضي الله عنه– خالف ما جاء في العرضة الأخيرة وما أثبت في النسخة الأصلية، وإنما اعتراضه كان على المصاحف الفردية للصحابة، والتي فيها بعض المنسوخ، لاسيما والكثير منهم لم يشهد العرضة الأخيرة، ولذلك فقد أحرق –رضي الله عنه– تلك المصاحف حتى لا يحصل اللبس.

كما أنه بعد النظر في أقوال العلماء من أصحاب القول الأول والتأمل فيها لم يظهر لي منها ما يدل صراحة –وإن اختلفت عباراتهم–على أن عثمان –رضي الله عنه– قد ألغى الأحرف الستة الباقية، بل كلهم مفاد قولهم –وإن اختلفت عباراتهم–متفق على أن عثمان –رضي الله عنه– اعتمد القراءة الثابتة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أي ما جاء في العرضة الأخيرة وفرقه على الأمصار، فالخلاف –كما يبدو لي– اصطلاحي وليس حقيقي.

([1]) المصاحف / ابن أبي داود،ج١،ص١٠٤.

وإنما يبقى الخلاف بينهم حول هل المصحف العثماني والذي نسخه عثمان من مصحف أبي بكر –رضي الله عنهما-يشتمل على الأحرف السبعة أم لا؟

بمعنى هل المصحف العثماني مشتملٌ على الأحرف السبعة،أم حذف بعضها، أم كلها في العرضة الأخيرة ؟

وقد أجاب عن هذا السؤال الدكتور مساعد الطيار بإجابة واضحة شافية في موقع ملتقى أهل التفسير فقال :

(ففي الحديث عن عائشة –رضي الله عنها-، قالت : (أسرَّ إليَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- : إنَّ جبريل كان يعارضني بالقرآن كلَّ سنة، وإنه عارضني هذا العام مرتين، ولا أُراه إلا قد حضر أجلي).([1])

وفي هذه العرضة نُسِخَ ما نُسخَ من وجوه القراءات التي هي من الأحرف السبعة، وثبت ما بقيَ منها، وكان أعلم الناس بها زيد بن ثابت، قال البغوي في شرح السنة : (يقال: إن زيدًا بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله –صلى الله عليه وسلم-، وقرأها عليه، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف).([2])

والدليل على وجود أحرف قد نُسخت ما تراه من القراءات التي توصف بأنها شاذة، وقد ثبتت بسند صحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم-، وإلا فأين تضع هذه القراءات الصحيحة الشاذة من هذه الأحرف ؟!).([3])

المطلب الثاني : منهج عثمان-رضي الله عنه- في الجمع :

شرع الصحابة الموكلون بجمع القرآن في كتابة المصحف الإمام، الذي نسخوا منه بعد ذلك المصاحف المرسلة إلى الأمصار، وكان الخليفة عثمان –رضي الله عنه-، يتعاهدهم ويشرف عليهم،فقد كان المقصود من جمع القرآن زمن عثمان –رضي الله عنه-قطع دابر الفتنة التي طرأت على المسلمين من الاختلاف في كتاب الله،فأراد عثمان أن ينسخ من الصحف التي جمعها أبو بكر مصاحف مجمعًا عليها تكون أئمة للناس في تلاوة القرآن.

---

[1]) صحيح البخاري، ج٤، ص٢٠٣ .

[2]) شرح السنة / البغوي، ج٤، ص٥٢٥ .

[3]) ملتقى أهل التفسير : https://vb.tafsir.net

قال ابن حزم: (خشي عثمان أن يأتي فاسقٌ يسعى في كيد الدين، أو أن يهِمَ واهمٌ من أهل الخير، فيبدِّل شيئًا من المصحف، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجمعًا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفًا، لكي –إن وهم واهمٌ، أو بدَّل مبدِّل–رُجِع إلى المصحف المجمع عليه، فانكشف الحق، وبطل الكيد والوهم).([1])

فلم يكن قصد عثمان جمع ما ليس مجموعًا، فقد كان القرآن زمن الصديق قد جُمِع، وإنما قصدَ نسخَ ما كان مجموعًا منه زمن الصديق في مصاحف يقتدي بِها المسلمون.

قال الزركشي : (وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ اشْتُهِرَ أَنَّ عُثْمَانَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْمَصَاحِفَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ –لِمَا بَيَّنَّاهُ–، بَلْ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَهَا فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ أَمَرَ عُثْمَانُ حِينَ خَافَ الِاخْتِلَافَ فِي الْقِرَاءَةِ بِتَحْوِيلِهِ مِنْهَا إِلَى الْمَصَاحِفِ، هَكَذَا نَقَلَهُ الْبَيْهَقِيُّ، قَالَ: وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ التَّأْلِيفَ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَرُوِّينَا عَنْهُ أَنَّ الْجَمْعَ فِي الْمُصْحَفِ كَانَ فِي زمن أبي بكر، وَالنَّسْخُ فِي الْمَصَاحِفِ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ وَكَانَ مَا يَجْمَعُونَ وَيَنْسَخُونَ مَعْلُومًا لَهُمْ بِمَا كَانَ مُثْبَتًا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِمَشُورَةِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَارْتَضَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَحُمِدَ أَثَرُهُ فِيهِ).([2])

وحينما عزم عثمان بن عفان –رضي الله عنه – على جمع القرآن الكريم وعيّن اللجنة التي تباشر هذا العمل حدَّد لها خطوات العمل ويُمكن أن نلخص منهج الجمع العثماني فيما يأتي:

١–الاعتماد على الصحف التي جمعها زيد بن ثابت –رضي الله عنه–في عهد أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–، واعتبارها أساساً في نسخ المصاحف ويظهر هذا جليًّا في طلب عثمان الصحف التي جمع فيها أبو بكرٍ القرآن من حفصة –رضي الله عنها–، وقد كانت هذه الصحف تستند إلى الأصل المكتوب بين يدي النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم–.([3]) وفيما رواه البخاري أن عثمان –رضي الله عنه–أرسل إلى حفصة

---

[1]) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ج٢، ص٢١٢–٢١٣ .

[2]) البرهان في علوم القرآن / الزركشي، ج١، ص٢٣٥ .

[3]) المنح الربانية للشخصية المحمدية، خالد الجندي، دار المعرفة : بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٦ م ، ص١٠٥ بتصرف .

-رضي الله عنها-: (أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك).([1])

٢-إشراف عثمان بن عفان – رضي الله عنه- المباشر على الجمع حيث كان يتفقد اللجنة باستمرار، ويتعاهدهم على الدوام.([2]) أخرج ابن أبي داود بإسناده عن كثير بن أفلح أنه قال: (وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه).([3])

٤- رجوع اللجنة إلى الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فيما يحتاجون إليه للتأكد من كتابته وكيفية ذلك.([4]) أخرج البخاري أن ابن الزبير -أحد أعضاء اللجنة- قال: قلت لعثمان بن عفان: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا}[البقرة:٢٣٤]. قال: قد نسختها الأخرى، قلت: فلِمَ تَكْتُبُها؟ أَوَ تَدَعُها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه).([5])

٤- استيثاق اللجنة مما يكتبونه، وبخاصة فيما تعددت فيه القراءة، حيث كانوا يسألون مشاهير الصحابة عن كيفية القراءة به لا عن قرآنيته، فإن ذلك عُرِفَ في جمع أبي بكر؛ لأنه -رضي الله عنه- أراد أن تكتب المصاحف في مجموعها على جميع القراءات التي قرأها الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ليقضي على الفتنة التي حدثت بين المسلمين، بسبب جهلهم هذه القراءات.

٥-أن الكتابة تمت بشكلٍ يجمع ما ثبت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة على أن يكتب بدون تكرار الكلمات، واتفقوا على رسم الكلمات التي بها عدة أوجه بطريقة يجعلها محتملة لأن تقرأ بكل تلك الأوجه، وقد ساعد على ذلك عدم التشكيل، وعدم التنقيط.([6])

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦، ص١٨٣ .

[2]) جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة /علي بن سليمان العبيد، ص٤٧.

[3]) كتاب المصاحف / أبو بكر بن أبي داود، ص١٠٤.

[4]) جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة /علي بن سليمان العبيد، ص٤٧.

[5]) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن الكريم ، ج٦ ، ص٣١

[6]) جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة / علي بن سليمان العبيد، ص٤٨ .

٦-أن اللغة التي كُتِبَ فيها القرآن في جمع عثمان بن عفان -رضي الله عنه- هي اللغة القرشية([1])، وعند اختلاف اللجنة في كتابة كلمة فإنهم يكتبونه بحرف قريش([2]) حيث قال عثمان بن عفان -رضي الله عنه- للرهط القرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم).([3])

فالمقصود بالاختلاف هنا من حيث الرسم والكتابة، لا من حيث الألفاظ والكلمات، ويدل عليه قوله:(فاكتبوه) فيكون المعنى: إذا اختلفتم أنتم وزيد في رسم كلمة، فاكتبوها بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها.([4])

ثم أمر عثمان بعد ذلك بنسخ المصاحف عن المصحف الإمام، وإرسالها إلى الأمصار، وهي التي عُرِفت فيما بعدُ بالمصاحف العثمانية.

ثم أمر بما سواها أن يحرق وذلك لعدة أسباب :

أولا: إن تلك المصاحف التي كانت بأيدي الصحابة فيها بعض العبارات التفسيرية، سواء آخر الآية أو فوقها أو تحتها، مما قد يظن بعد ذلك أنها من القرآن.

ثانيا: إن هذه المصاحف فيها بعض الآيات التي نُسِخَت تلاوتُها .

ثالثا: اختلاف الطرق الإملائية في هذه المصاحف، وهذا ما تداركه عثمان في قصر الخط على يد رجلٍ واحدٍ هو سعيد بن العاص.

ويهون الأمر في اختلاف مصاحفهم أنها كانت مصاحف فردية لم يكونوا يكتبونها للناس إنما كانوا يكتبونها لأنفسهم فبدهي أن الواحد منها لم يثبت فيها إلا ما وصل إليه بمجهوده الفردي وقد يفوته ما لم يفت سواه من تحقيقٍ أدق، أو علمٍ أوسع؛ ولهذا كان يوجد بتلك المصاحف الفردية بعض آيات قد تكون منسوخة، وربما لم يبلغ صاحب ذاك المصحف نسخها.([5])

---

[1]) معجم القراءات القرآنية / أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ج١، ص٣٥.

[2]) يراجع: المقنع في رسم مصاحف الأمصار / عثمان بن سعيد بن عمرو الداني تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص١٦ .

[3]) سبق تخريجه .

[4]) جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابة / علي بن سليمان العبيد، ص٤٩ .

[5]) انظر: مناهل العرفان / الزرقاني،ج١/ ص٣٦٠.

وبهذا العمل فإنَّ عثمان –رضي الله تبارك وتعالى عنه– حسم مادة الفتنة بذلك الجمع، وعمل ما كان ينبغي أن يعمل، ولذلك نسخ من هذا الذي جمعه نسخًا على قدر الأقاليم العربية، فأرسل إلى كل إقليمٍ نسخةً كانت هي الأصل لهذا الإقليم، فأرسل إلى مصر، وإلى الشام، وإلى مكة، واليمن، والبحرين، والبصرة، والكوفة، وحبس بالمدينة مصحفًا كان هو الإمام لكل هذه النسخ، وهو المرجع الأول في الدولة، ترجع إليه كل المصاحف، وهو الحاكم عليها.

وإذا كان هو الأصل لكلِّ هذه المصاحف فيجب القول بأنه لا اختلاف بينها؛ لأنه الحكم، وأنها صورٌ لنسخةٍ واحدة، ويلاحظ أنَّ الإمامَ العظيمَ عثمان قد كتب المصحف خاليًا من النقط والشكل، كما كان المصحف الموجود عند حفصة خاليًا من النقط والشكل، ولم يكن نقطٌ وشكلٌ إلا بعد ذلك.([1])

ويقول فضيلة الشيخ نور الدين عتر في كتابه علوم القرآن: (أما القواعد التي اتبعوها في كتابة المصاحف، فكانت أصولا هامة سارت عليها الأمة من بعد، وقد صرّح الحديث بقاعدة هامة منها، وحدثتنا الروايات عن غيرها، فمن مهمات ذلك:

١ – اختيار حرف قريش: لما جاء في الحديث: وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا).([2])

وهذا لا يدل على إبطال بقية الأحرف السبعة، لما هو معلوم من قواعد رسم الصحف أنه غير مشكول ولا منقوط، وأنه لم تثبت فيه ألفات المد حسب قواعد في رسم الألف وعدمها، فمثلًا (مالك) تكتب (ملك) و (الكتاب) تكتب (الكتب).

ومن هنا كان لقراءة رسم المصحف طريقان: الموافقة للرسم المكتوب تحقيقًا، والموافقة احتمالًا وتقديرًا.

فقراءة (ملك يوم الدين) موافقةً للرسم تحقيقًا، وقراءة (مالك يوم الدين) موافقةً له تقديرًا.

---

[1]) المعجزة الكبرى القرآن / محمد بن مصطفى أبو زهرة، ج١، ص٣٠ .

[2]) سبق تخريجه .

لكن لا تجوز أي قراءة يحتملها الرسم إلا إذا ورد بها النقل المتواتر عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، كما هو مقرر في ضابط القراءة الصحيحة، غاية الأمر هنا أن يكون الرسم موافقًا للسان قريش تحقيقًا، ولغيرهم تقديرًا..

٢ – إذا لم يمكن استيعاب كل الأوجه كتب بعض المصاحف ببعض الأوجه، وكتب بعضًا آخر بأوجه أخرى مثل:(ووصّى)، (وأوصى).

٣ – تجريد المصحف عن كل ما ليس قرآنًا، حتى سرت هذه العبارة المأثورة التي تناقلها التابعون: (جرّدوا المصاحف).

٤ – التثبت البالغ في الرسم، كما قال كثير بن أفلح أحد الكاتبين مع اللجنة الرباعية: (فكانوا إذا اختلفوا في الشيء أخروه)، قال ابن سيرين: (أظنه ليكتبوه على العرضة الأخيرة).

وقد ورد نحو ذلك بأكثر من وجه.([1])

ولقد حظي الجمع العثماني برضى مَن شهده من أصحاب النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم–والتابعين، وقطع الله به دابر الفتنة التي كادت تشتعل في بلاد المسلمين، إذ جمعهم على ما ثبتت قرآنيته، فانتهى بذلك ما كان حاصلًا من الاختلاف بين المسلمين.

عن مصعب بن سعد قال: (أدركت الناس حين شقَّق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعِبْ ذلك أحدٌ).([2])

وقد عُدَّ جمعُ القرآن في المصاحف في زمن عثمان من أعظم مناقبه.

فعن عبد الرحمن بن مهديٍّ قال: (خصلتان لعثمان بن عفَّانَ ليستا لأبي بكر، ولا لِعُمَرَ: صبرُهُ نفسَه حتَّى قُتِل مظلومًا، وجمعُهُ الناسَ على المصحف).([3])

وقد دافع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن عثمان في جمع القرآن وإحراق المصاحف؛ لئلا يتهمه مَن لا فقه له بتضييع القرآن، أو الجرأة عليه، وأخبر أنه فعل ذلك عن رضى مَن شهده من الصحابة، وأنه لو كان واليًا إذ ذاك لفعل مثل الذي فعل عثمان.

---

[1]) علوم القرآن / نور الدين عتر ، ص١٧٤ .

[2]) فضائل القرآن / القاسم بن سلام ، ج١، ص٢٨٤ .

[3]) المصاحف / ابن أبي داود، ج١، ص٦٩ .

عن سويد بن غفلة قال: (سمعت عليَّ بنَ أبي طالبٍ يقول: يا أيها الناسُ، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فَعَلَ الذي فَعَلَ في المصاحفِ إلاَّ عن ملأٍ منَّا جميعًا ... قال: قال عليٌّ: والله لو وليت لفعَلْتُ مثلَ الذي فَعَلَ).([1]) .

المطلب الثالث : تحرير القول في جمع عثمان –رضي الله عنه– للقرآن :

إن الجمع في عهد عثمان –رضي الله عنه– للقرآن الكريم كان نسخًا لما جاء في الصحف المحفوظة عند أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها–، وباعتماد ما ثبت في العرضة الأخيرة.

قال الزرقاني : (رأى عثمان بثاقب رأيه وصادق نظره أن يتدارك الخرق قبل أن يتسع على الراقع، وأن يستأصل الداء قبل أن يعز الدواء، فجمع أعلام الصحابة وذوي البصر،فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسل منها إلى الأمصار، وأن يؤمر الناس بإحراق كل ما عداها وألا يعتمدوا سواها).([2])

وقد شرعت اللجنة الرباعية في تنفيذ قرار عثمان سنة خمسة وعشرين، وإنما أمرهم عثمان أن ينسخوا من صحف حفصة مع أنهم كانوا جماعًا لكتاب الله في صدورهم، لتكون مصاحفه مستندة إلى أصل أبي بكر المستند بدوره إلى أصل النبي – صلى الله عليه وسلم– المكتوب بين يديه بأمره وتوقيف منه، فسدت بذلك كل ذريعة للتقول والتشكيك.

قال أبو عبد الله المحاسبي: (... تلك المصاحف التي كتب منها القرآن كانت عند الصديق؛ لتكون إمامًا، ولم تفارق الصديق في حياته ولا عمر أيامه، ثم كانت عند حفصة لا تمكن منها، ولما احتيج إلى جمع الناس على قراءة واحدة وقع الاختيار عليها في أيام عثمان، فأخذ ذلك الإمام ونسخ في المصاحف ...).([3])

ومما يدل على صحة هذا القول التالي:

أولاً :أن جميع الروايات التي وردت في جمع عثمان –رضي الله عنه–، وهي من طريق أنس –رضي الله عنه –كلها فيها:

---

[1]) المصاحف / ابن أبي داود، ج١، ص٩٦ .

[2]) مناهل العرفان / الزرقاني، ج١، ص٢٥٦ .

[3]) انظر: المصدر السابق، ج١، ص٢٣٩ .

(فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك).([1])

فهذه العبارة كافية لتبين أن عمل عثمان –رضي الله عنه– إنما كان نسخًا لمصحف أبي بكرٍ –رضي الله عنه– .

وفيها أيضًا طلب عثمان –رضي الله عنه– من الصحابة وهم : زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوا الصحف في المصاحف.

وهذا نصه : (فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوا الصحف في المصاحف).([2])

وقد يقول قائلٌ : إذا قلنا:إن عمل عثمان –رضي الله عنه–مجرد نسخ فقط فما الفائدة منه ؟

قلنا:إن المقصود من جمع القرآن وكتابته في تلك المصاحف :

الاقتصار على ما ورد من القراءات الثابتة المتواترة دون ما لم يكن كذلك من الأوجه التي نزلت أولًا للتيسير، ثم نسخت بالعرضة الأخيرة من الرسول –صلّى الله عليه وسلم– على أمين الوحي جبريل –عليه السلام–.

اعتماد نسخة رسمية للقرآن الكريم توزع على الأمصار المختلفة تقطع النزاع والاختلاف بين القراء .

ثانيًا: أنه لم يرد من ضمن هذه الروايات طلب عثمان –رضي الله عنه– من الصحابة الكتاب الاقتصار على حرفٍ واحدٍ وإغفال الأحرف الأخرى، ولم ينقل إلينا نقلًا صحيحًا صريحًا أنهم تركوا من الأحرف السبعة شيئًا فضلًا عن أن يتركوها ما عدا واحدًا، ولو فعلوا ذلك لنقل إلينا نقلًا متواترًا ؛لأن هذا الأمر الجلل مما تتوافر الدواعي على نقله وتواتره، ثم إن دفع الفتنة وتوحيد الكلمة بين المسلمين لا يتوقف على ترك ستة أحرفٍ وإبقاء حرفٍ واحدٍ من الأحرف التي نزل عليها القرآن، بل إن الذي يدفع الفتنة ويوحد الكلمة هو إقرار النازل كما نزل من تعدد حروفه إلى سبعةٍ؛ رحمةً بهذه الأمة، وغاية ما يجب في هذا الباب هو إحاطة المسلمين علمًا بهذه الحروف حتى

---

[1]) صحيح البخاري، ج١٢، ص٤٢٥ .

[2]) صحيح البخاري، ج٦، ص٢٢٦ .

يتركوا ما عداها ولا يعتمدوا سواها، وحتى يعتمد كلٌ منهم صواب قراءة غيره ما دامت قراءته لا تتعداها، ومن هنا تجتمع كلمتهم، وتنطفئ فتنتهم على نمط ما فعل الرسول –صلى الله عليه وسلم–حين اشتعلت مثل هذه الفتنة بين بعض الصحابة، فعالجهم بأن أفهمهم أن القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ، وقرر فيهم هذا المعنى، وحكم بأن كلًا من المختلفين على صواب في قراءته، وأنها هكذا أنزلت، وما كان لعثمان وجمهور الصحابة وجميع الأمة أن يتركوا هدي الرسول –صلى الله عليه وسلم–في هذا).([1])

ثالثًا : قلت : ولو سلمنا أن عثمان –رضي الله عنه– اقتصر على حرفٍ واحدٍ من الأحرف السبعة فإن قوله لهم : (ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فيه فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم)،لا يدل على إغفال الأحرف الأخرى، وإنما هو أمر يتعلق بالكتابة.

وبالفعل لم يرد عن الصحابة –رضوان الله عليهم–اختلاف إلا في كلمة التابوت حيث اختلف الصحابةُ في كلمة التابوت، هل هي بالتاء؟ أو بالهاء؟ كما قال الزهري: (واختلفوا يومئذٍ في (التابوت) و(التابوه)، فقال النفر القرشيون: (التابوت)، وقال زيدٌ: (التابوه)، فرُفِع اختلافُهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه (التابوت)؛ فإنه بلسان قريشٍ).([2])

رابعًا : قوله : (وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ، أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ).([3])

يبين أن ما فعله عثمان –رضي الله عنه– هو اعتماد النسخة الأصلية بنسخها وتوزيعها على الأمصار ، وقوله : (أمر بما سواه أن يحرق ما سوى هذه النسخ) ، وذلك أنها كتابات فردية من الصحابة، وقد تشتمل على المنسوخ، لاسيما وأكثرهم لم يشهد العرضة الأخيرة .

وعليه فإن نسخة المصحف التي يقرؤها المسلمون من أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان –رضي الله عنه– إلى يومنا هذا، هي النسخة التي أجمع الصحابة

---

[1]) مناهل العرفان / الزرقاني، ج ١، ص٤٠١ .

[2]) سنن الترمذي، ج٥، ٢٨٤ .

[3]) صحيح البخاري، ج١٢، ص٤٢٥ .

عليها، ولذلك وافقوا عثمان –رضي الله عنه– على حرق ما سواها من نسخ المصحف، حتى قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: (لو لم يصنعه هو لصنعته).

خامسًا : ومما يؤكد هذا القول أيضًا عدم تغيير عثمان –رضي الله عنه– لشيءٍ مما في النسخة التي بحوزة حفصة –رضي الله عنها–فحين رجوع اللجنة إلى الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– فيما يحتاجون إليه للتأكد من كتابته وكيفية ذلك .

أخرج البخاري أن ابن الزبير –أحد أعضاء اللجنة– قال:(قلت لعثمان بن عفان: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا}[البقرة:٢٣٤]. قال: قد نسختها الأخرى، قلت: فلِمَ تَكْتُبُها؟ أَو تَدَعُها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئًا من مكانه).([1])

سادسًا : ويؤكده أيضًا القول أن عثمان –رضي الله عنه–لم يحرق المصحف الذي كان بحوزة حفصة –رضي الله عنها–([2])، ولو كان قد اصطلح على الاقتصار على حرف قريش ما كان ليدع نسخة حفصة، وقد يقول قائل: إنه لم يحرقها؛ لأنه كان قد وعدها بأن يردها إليها، فنقول: ما كان عثمان لينحاز لرغبة حفصة أمام قرآن يتلى.

سابعًا: ومما يقوي هذا القول، قوله تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}[الحجر:٩]

فقد تولى الله حفظ كتابه وهيأ له الأسباب، وكان جبريل يعارض الرسول –صلى الله عليه وسلم– مرةً كل عامٍ، وعارضه في السنة التي توفي فيها رسول الله مرتين، فما كان لعثمان –رضي الله عنه– أن ينقض أو يلغي شيئًا مما ثبت في العرضة الأخيرة .

ولم يترك عثمان –رضي الله عنه– سوى نسخة واحدة كانت عند حفصة، ومع ذلك فقد أحرقها مروان بعد وفاتها، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (ولهذا استدرك مروان الأمر بعدها، وأعدمها أيضاً خشية أن يقع لأحد منهم توهم أن فيها ما يخالف المصحف الذي استقر عليه الأمر).([3])

---

[1]) صحيح البخاري، ج١١، ص٨٠.

[2]) انظر: المعجزة الكبرى / محمد بن أحمد أبو زهرة، ص٣٤ .

[3]) فتح الباري / ابن حجر، ج٩، ص٢١ .

وهنا يجدر الإشارة إلى مسألة قد تشكل على من يقول بهذا القول وهو أنه إذا كان عمل عثمان –رضي الله عنه- مجرد نسخ لمصحف أبي بكر –رضي الله عنه- وهو الوثيقة الرسمية التي كانت عند حفصة، فما القول في الحديث الذي رواه زيد بن ثابت وفيه قال :(فقدتُ آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري :{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب:٢٤]فألحقناها في سورتها في المصحف.وتذكرها بعض كتب علوم القرآن في جمع عثمان –رضي الله عنه- .

الجواب :

إن فقد آية الأحزاب، ثم الوقوف عليها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري إنما حصل في جمع القرآن ونسخه زمن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه- وليس في عهد عثمان –رضي الله عنه-، ويدل على ذلك ثلاثة أدلة :

سُئِلَ الإمامُ الدارقطني عن حديث زيد بن ثابت، عن أبي بكر الصديق في جمع القرآن، فقال : (هو حديثٌ في جمع القرآن رواه الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت) حدث به الزهري كذلك جماعة منهم اتفقوا على قول واحد .

وإنما روى الزهري، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، من هذا الحديث ألفاظًا يسيرة، وهي قوله : (فقدت من سورة الأحزاب آية، قد كنت أسمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقرؤها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت) من رواية إبراهيم بن سعد، وشعيب بن أبي حمزة، وعبيد الله بن أبي زياد، ويونس بن يزيد ومن تابعهم عن الزهري فإنهم ضبطوا الأحاديث عن الزهري، وأسندوا كلَ لفظ منها إلى رواية وضبطوا ذلك، وذكر إبراهيم بن سعد من بينهم عن الزهري فيه أسانيد .

ورواية الزهري لقصة نسخ المصاحف في عهد عثمان –رضي الله عنه- فقد رواها الزهري عن أنس بن مالك مباشرة، وليس عن زيد بن ثابت، أن حذيفة قدم على عثمان فقال:(أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا)،كذلك قاله الحفاظ عن الزهري، وكذلك قاله ابن وهب، والليث عن يونس.([1])

ويقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله- : (الصحيح عن الزهري: أن قصة زيد بن ثابت مع أبي بكر وعمر : عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت.

---

[1]) العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدار قطني، ج١، ص١٨٦-١٨٩ باختصار .

وقصة حذيفة مع عثمان: عن أنس بن مالك .

وقصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السباق: عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه).([1])

فيكون هذا الإسناد من الأسانيد التي رويت بها قصة جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– .

لقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله– : (وأما ما رواه الزهري عن خارجة، عن أبيه في شأن آية الأحزاب، وإلحاقهم إياها في سورتها، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف، كما جاء مصرحًا به في غير هذه الرواية عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: (فألحقناها في سورتها في المصحف)، وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية).([2])

أن جميع العلماء الذين شرحوا هذا الحديث، واستدلوا به إنما تكلموا عليه من جهة توضيح منهج زيد بن ثابت –رضي الله عنه– في جمع القرآن زمن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–، وكيف أنه كان يشترط كون الآية مكتوبة بشهادة الشهود إلى جانب الحفظ والضبط، وهذا إجماع منهم على أن سياق الحديث إنما كان في عهد الصديق –رضي الله عنه– .

ذكر الإمام البخاري –رحمه الله– كلام زيد بن ثابت عن فقد آية الأحزاب عقب قصة نسخ المصاحف في عهد عثمان –رضي الله عنه– ليس لأنه يرى أن فقد الآية وقع في عهد عثمان، وإنما لأن الراوي عن الزهري وهو إبراهيم بن سعد– هو الذي روى كلتا الروايتين، فأوردهما على وجه التعاقب في الذكر فقط، وليس على وجه تقرير كونهما في سياق واحد.([3])

وعليه فإن خير ما قيل في معنى جمع عثمان الناس على حرفٍ واحدٍ: هو جمعهم على ما تواتر عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته .

---

[1]) فتح الباري / ابن حجر، ج٩، ص١١–١٢ باختصار .

[2]) فضائل القرآن / ابن كثير، ص٨٦ .

[3]) المرجع السابق ص ٨٦ .

ثم نسخت اللجنة عن المصحف الإمام خمسة مصاحف، بعثت بها إلى مكة، والكوفة، والبصرة، والشام، وبقي واحد في المدينة المنورة.

وأمر عثمان بمحو وتحريق المصاحف التي في الأمصار، ونال هذا الأمر مصاحف الصحابة التي كتبوها لأنفسهم.

وبذا جمع عثمان المسلمين ولمّ شعثهم، فكان جمعه للقرآن وكتابته للمصاحف منقبةً عظيمةً له، وخدمةً جليلةً لكتاب الله؛ ولذا أجمع الصحابة على فعله رضىً وقبولًا.

قال زيد: رأيتُ أصحابَ محمدٍ –صلّى الله عليه وسلّم– يقولون: أحسن والله عثمان، أحسن والله عثمان.

ومن خلال ما تقدم فإنه يظهر لي بأن مصحف عثمان –رضي الله عنه– قد اشتمل على الأحرف إلا ما كان من نسخٍ لبعضها في العرضة الأخيرة؛ وذلك لعدة أمور:

١–إنه لا يجوز على الأمة أن تهملَ نقلَ شيءٍ مما أنزله الله تعالى .

٢–وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر، وكانت بجميع الأحرف السبعة، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك.

ويلاحظ في جمع عثمان للقرآن ما يلي:

اعتماده الكلي على مصحف أبي بكر الذي كان محفوظًا لدى السيدة حفصة، ومصحف أبي بكر أعدته لجنةٌ مختصةٌ من حفاظ القرآن، ووقع الإجماع عليه، ولو وقع أي خلافٍ بين المصحفين لما ارتضاه المسلمون.

كلف عثمان لجنة رباعية أحد أفرادها زيد بن ثابت الذي قام بجمع القرآن في عهد أبي بكر.

أن جمع عثمان–رضي الله عنه–للقرآن كان يستهدف كتابة القرآن ورسم القرآن وتوحيد القراءة، (فاكتبوه بلسان قريش) وهذا دليل على أن أي خلاف لا يمكن أن يتعلق بنص القرآن، وإنما يتعلق بلغة القرآن وكتابة القرآن.([1])

هذا وقد حظي الجمع العثماني برضى من شهده من أصحاب النَّبِيّ–صلى الله عليه وسلم–والتابعين، وقطع الله به دابر الفتنة التي كادت تشتعل في بلاد المسلمين، إذ جمعهم على ما ثبتت قرآنيته، فانتهى بذلك ما كان حاصلًا من الاختلاف بين المسلمين.

---

[1]) المدخل إلى علوم القرآن / محمد فاروق النبهان، ص١١٦ .

الخاتمـــــــة:

وبعد هذه الجولة المباركة والتي عادت بنا قرونا إلى زمن عثمـــان رضـــي الله عنه وأرضاه في جمعه للقرآن الكريم فإنه يتبين لنا ما يلي:

إن نســخ القرآن الكــريم في المصاحف في زمن عثمان بن عفان –رضي الله عنــه– إنما هو تحقيقٌ لوعد الله بحفظ كتابه العزيز،قال تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الــذِّكْرَ وَإِنَّــا لَــهُ لَحَافِظُون}[الحجر:٩]فقد وحَّد هذا الجمع صف المسلمين وكلمتهم، وردَّ عنهم مــا كــان محدقًا بِهم من الفتنة العظيمة، واجتث بذور الشقاق من بينهم.

إن عثمان–رضي الله عنه–لم يقصد قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بــين لوحين، وإنما قصد جمع الصحابة على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول –صــلى الله عليه وسلم– .

إن عثمان –رضي الله عنه–لم يسقط شيئًا من القراءات الثابتة عــن الرســول –صلى الله عليه وسلم–، ولا منع منها ولا حظر القراءة بها؛ إذ ليس إليه ولا إلى غيره أن يمنع ما أباحه الله –تعالى– وأطلقه وحكم بصوابه، ولو أن عثمان –رضي الله عنه– قد أخذ بحرفٍ واحدٍ منها فكيف وصلت القراءات إلينا بالتواتر؟

وبهذا كان عمل عثمان بن عفان متكاملًا في غاية الضبط والإتقان، وقــد حقــق الهدف الذي قصد إليه من وراء هذا العمل من وجهين هما بيت القصيد:

أ– المحافظة على نص القرآن أن يدخل فيه ما ليس منه، أو أن يتعــرض لأي تحريف، بسبب العوامل التي سبق ذكرها.

ب– إن مصحف عثمان –رضي الله عنه– قد اشتمل على الأحرف إلا ما كان من نسخ لبعضها في العرضة الأخيرة؛ وذلك لاعتماده على ما تواتر عن رســول الله – صلى الله عليه وسلم– واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته، وهــي النــسخة المحفوظة عند حفصة –رضي الله عنها– ، وهو يمثل القراءات الكثيرة التي كان الناس يقرءون بها حرفًا واحدًا، بدليل أنه –رضي الله عنه– أمر بإحراق المصاحف المختلفــة التي كان يكتبها الصحابة لأنفسهم، لما فيها من أحرف بعضها قد نُسِخ، وبعــضها كــان تفسيرًا من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكانت من بين الأســباب التــي جعلــت الناس يختلفون في القراءة قبل نسخ عثمان للمصاحف كما تقدم.

وبذا جمع عثمان المسلمين ولمّ شعثهم، فكان جمعه للقرآن وكتابته للمصاحف منقبةً عظيمةً له، وخدمةً جليلةً لكتاب الله؛ ولذا أجمع الصحابة على فعله رضىً وقبولًا.

التوصيات:

- جمع الأحاديث والآثار الواردة في جمع الصحابة-رضي الله عنهم- والنظر فيها ودراستها بتمعن، ثم الخروج بنتائج دقيقة من هذه الدراسة.

- العمل على دراسة يسلط فيها الضوء على جهود الصحابة-رضي الله عنهم- في جمع القرآن الكريم.

فهرس المراجع:

١-الإبانة عن معاني القراءات،المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)،المحقق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي،الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر،عدد الأجزاء: ١.

٢-الإتقان في علوم القرآن،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،عام النشر: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م،عدد الأجزاء: ٤.

٣-الانتصار للقرآن،المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)،تحقيق: د. محمد عصام القضاة،الناشر: دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت،الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م،عدد الأجزاء: ٢.

٤-البرهان في علوم القرآن،المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م،الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥-التبيان في آداب حملة القرآن،المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،حققه وعلق عليه: محمد الحجار،الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة،١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م،الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

٦-الفصل في الملل والأهواء والنحل،المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)،الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة،عدد الأجزاء: ٥ × ٣.

٧-المحرر في علوم القرآن،المؤلف: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي،الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م،عدد الأجزاء: ١.

٨-المدخل إلى علوم القرآن الكريم، المؤلف: محمد فاروق النبهان، الناشر: دار عالم القرآن – حلب، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

٩-المعجزة الكبرى القرآن،المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)،الناشر: دار الفكر العربي،عدد الأجزاء: ١.

١٠–العلل الواردة في الأحاديث النبوية،المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)،المجلدات من الأول، إلى الحادي عشر،تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي،الناشر: دار طيبة – الرياض،الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م،والمجلدات من الثاني عشر، إلى الخامس عشر،علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي،الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام،الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

١١–جامع البيان عن تأويل آي القرآن،المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي،بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م،عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلدًا ومجلدان فهارس.

١٢–جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة،المؤلف: أ. د. علي بن سليمان العبيد،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة،عدد الأجزاء: ١.

١٣–سنن الترمذي،الجامع الكبير،المؤلف :محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى، المتوفى: ٢٧٩هـ، المحقق :بشار عواد معروف، الناشر :دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٦

١٤– سنن النسائي،المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي،المؤلف :أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المتوفى: ٣٠٣ه، تحقيق :عبد الفتاح أبو غدة، الناشر :مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة :الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦عدد الأجزاء ٩ : ٨–ومجلد للفهارس.

١٥– شرح السنة،المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المتوفى: ٥١٦هـ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش،الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت،الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م،عدد الأجزاء: ١٥.

١٦–صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه ، المؤلف :محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (المتوفى: ٢٥٦) ، المحقق :محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر :دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة :الأولى – ١٤٢٢هعدد الأجزاء:٩

١٧- علوم القرآن الكريم، المؤلف: نور الدين محمد عتر الحلبي،الناشر: مطبعة الصباح – دمشق،الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م،عدد الأجزاء: ١ .

١٨-فتح الباري شرح صحيح البخاري،المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،(المتوفى : ٨٥٢) الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز،عدد الأجزاء: ١٣.

١٩-فضائل القرآن،المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ)،الناشر : مكتبة ابن تيمية،الطبعة : الأولى - ١٤١٦ هـ،عدد الأجزاء : ١.

٢٠-فضائل القرآن للقاسم بن سلام،المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)،تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين،الناشر: دار ابن كثير (دمشق - بيروت)،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ محمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر،الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م،عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

٢١-كتاب المصاحف، المؤلف:أبو بكر بن أبي داود،عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى:٣١٦هـ)،المحقق:محمد بن عبده، الناشر:الفاروق الحديثة -مصر/القاهرة.

٢٢-مباحث في علوم القرآن،المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الطبعة: الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م،عدد الأجزاء: ١

٢٣-مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ،ويُسَمَّى: (المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى)،المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)،دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض،الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م،عدد الأجزاء: ٣.

٢٤-معجم القراءات القرآنية / أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.

٢٥- مناهل العرفان في علوم القرآن،المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، المتوفى ١٣٦٧هـ،الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،الطبعة: الثالثة،عدد الأجزاء: ٢.